بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وسيد الخلق أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

وبعد ...

لقد عُنِيَ علماء العربية منذ القرن الثاني الهجري بجمع أشعار العرب في الجاهلية خدمة للعربية واستجابة لحاجات الدراسات التي عنيت بتفسير القرآن الكريم ، ومحاولة الوقوف على سر إعجازه .

ولما كان أسلوب التجريد أحد الأساليب المهمة في الشعر العربي - والجاهلي منه بوجه خاص - فقد رأيت أن أقف على هذا الأسلوب لتأمل أسراره البلاغية في أشعار الجاهليين .

والحق فإن التجريد يعد انعكاسا لحال شعورية ما في نفس الشاعر ، هذه الحال التي تلح عليه إلحاحا ، فلا يجد مناصا من التعبير عنها بالتجريد .

ويعد التجريد من أبرز الأساليب التي شاع استخدامها في الشعر الجاهلي ، فعن طريقه " يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطبا بها غيره ، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه " (١) .

---

(١) ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق د.أحمد الحوفي و د.بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٣م ، ٢/١٦٠ .

و لقد تعرض هذا الأسلوب في تراثنا البلاغي لكثير من الخلط و الاضطراب ببعض المباحث البلاغية الأخرى . فنحن حين نتأمل مسيرة ذلك الأسلوب في مؤلفات هذا الموروث نجده تارة ينسب إلى علم البيان ، و أخرى إلى علم البديع ، مما جعله يمر بمراحل عدة حتى يصل إلى مفهومه الحالي :

فقد بدأ تناول التجريد بملاحظة وجوده في الاستعمال اللغوي ،و يعد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) - إن لم يكن أولهم . هو ممن له فضل السبق في تناول التجريد و ملاحظته و ذلك في كتابه " كتاب سيبويه " [١] ، الذي وإن جاءت الإشارة إليه باقتضاب و إيجاز شديدين إلا أن تناوله له كان له أكبر الأثر فيمن أتى بعده من العلماء ، فنراهم قد عنوا بآرائه و ضمنوها كتبهم و نسبوها إليه .

" و يبدو أن أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) هو أول من سمى هذا النوع بالتجريد [٢] كما يدل على ذلك قول ابن أبي الحديد في كتابه " الفلك الدائر على المثل السائر " [٣].

ثم تطورت الدراسة من مرحلة الملاحظة و التعرف إلى مرحلة التوضيح و التفسير لذلك الأسلوب ، و يظهر ذلك جليا في كتاب " الخصائص " لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، حين خصص له بابا عنوانه (باب في التجريد) [٤] ، تحدث فيه عن معنى الأسلوب ، و صوره بل لقد تعددت رؤيته للأسلوب مرحلة التوضيح و التفسير إلى مرحلة الإشادة و الإعجاب

---

(١) ينظر : سيبويه : كتاب سيبويه ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م ، ١ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) د. عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ، نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣٣٣ .

(٣) يراجع : ابن أبي الحديد : الفلك الدائر على المثل السائر ، قدم له ، و حققه ، و علق عليه د أحمد الحوفي ، و د بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة ، د ت ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٤) يراجع : ابن جني . الخصائص ، حققه محمد علي النجار . دار الهدى للطباعة و النشر . بيروت ، ط٢ ، د.ت ، ٢/ ٤٧٣ : ٤٧٦ .

يتضح ذلك في مصطلحه الشهير (شجاعة العربية) [1] فنراه " تحدث تحت هذا العنوان عن أساليب كثيرة تخرج على خلاف مقتضى الظاهر كضمير الشأن أو القصة و تأنيث المذكر، و تذكير المؤنث، و التقديم و التأخير، و التجريد " [2].

و جاءت مرحلة الخلط و الاضطراب لأسلوب التجريد، و فيها اعتبر هذا الفن ضمن التشبيه " و أول من اعتبر التجريد ضمن التشبيه هو الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) حين تحدث عن المبالغة في التشبيه و ضرب أمثلة من التشبيه البليغ و أمثلة من التجريد جعلها ضمن التشبيه " [3]، و يظهر ذلك جليا في كتابيه" دلائل الإعجاز [4]، و" أسرار البلاغة " [5]، و تبعه في ذلك السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) و ذلك في كتابه "مفتاح العلوم " [6]، فنراه في تعرضه للتجريد يدخله و صوره المختلفة في مباحث التشبيه مقتديا بآراء بعبد القاهر [7].

ثم تأتي مرحلة التقنين و التحديد، و يمثلها ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) في كتابه " المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر "، حيث قصر التجريد على قسمين : هما تجريد محض، و تجريد غير محض، و عد التجريد بالحروف تشبيها مضمر الأداة [8] و عد

---

(١) و الجدير بالذكر أن ابن جني و إن لم يدرج التجريد في حديثه عن " شجاعة العربية " فإن هذا المبحث قد تضمن الإشارة إلى بعض من الصور التي تنضوي تحته بمفهومه الواسع الذي جرينا عليه في هذا البحث ، ينظر : ابن جني : الخصائص ، ٢ / ٣٦٠ : ٤٤٧ .

(٢) د. أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية ، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع،طنطا، ٢٠٠٠م،المقدمةص ١٧ .

(٣) د.عبد الله علي محمد حسن: صور المبالغة عند السجلماسي، مركز هجر لخدمات الطباعة، القاهرة ، د.ت ص ٣٦

(٤) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، قرأه و علق عليه محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٦٨ ، ٤٢٥ .

(٥) ينظر : عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، قرأه و علق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط١ ١٩٩١م ، ص ٣٣٤ : ٣٣٧ .

(٦) السكاكي : مفتاح العلوم ، ضبطه و كتب هوامشه و علق عليه أ.نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٥٤ .

(٧) د.شوقي ضيف : البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف بمصر، ط ٣ ، د.ت ، ص ٣٠٤ ، بتصرف يسير.

(٨) ينظر : ابن الأثير : المثل السائر ، ٢ / ١٦٥ ، ١٦٦ .

كذلك التجريد من علوم البيان بقوله : " قد نقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان "(١) . وهو تصور قد تبعه فيه العلوي (ت ٧٤٩ هـ)، في كتابه " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " ، حيث عد التجريد نوعا من : " محاسن علوم البيان ولطائفه "(٢) . وفي حقيقة الأمر فإن نظرة عبد القاهر والسكاكي في وضع التجريد والتشبيه في سلة واحدة نجدها " يمكن أن تتفق مع رأي ضياء الدين بن الأثير حيث بين أن فائدة التجريد التوسع في الكلام و إذا عرفنا أن المجاز عند ابن الأثير يشمل التشبيه والاستعارة والتوسع في الكلام عرفنا كيف يمكن أن يكون التجريد توسعا لأنه ينظر إليه على أنه تشبيه أو استعارة أو توسع في الكلام "(٣).

وتصل الدراسة بعد ذلك إلى مرحلة التحليل والتقعيد ، ويبرز فيها جهد الخطيب القزويني(ت ٧٣٩ هـ) ، في كتابيه " التلخيص في علوم البلاغة "(٤) ، و" الإيضاح في علوم البلاغة "(٥) ، الذي أدرج فيهما التجريد ضمن مباحث البديع المعنوي ، وعدد فيهما صور التجريد المختلفة بعد تعريفه ، وذلك بإيجاز وتبسيط ، لا يخلو من فنية التحليل ومنهجية الطابع ، وسار أتباعه على نهجه وزادوا على جهوده إضافات وشروحا كثيرة فقام شراح التلخيص(٦) ،وهم التفتازاني ، ابن يعقوب المغربي السبكي والدسوقي بحاشيته ، بالاستفاضة في شرح شواهد التلخيص وعباراته بطابع يغلب عليه جانب

---

(١) ابن الأثير : المثل السائر ٢ / ١٦٠ .

(٢) العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ٣ / ٧٣ .

(٣) د. عبد الله علي محمد حسن : صور المبالغة عند السجلماسي ، ص ٣٧ .

(٤) يراجع : القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه و شرحه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٥٠هـ ، ١٩٣٢م ، ص ٣٦٨ : ٣٦٩ .

(٥) يراجع : القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح و تعليق د.محمد عبد المنعم خفاجي ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٤ ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، ١ / ٢١٢ : ٥١٣ .

(٦) يراجع : شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ، د.ت ، ٤ / ٣٤٨ : ٣٥٧ .

التذوق ، و تحليل فني متميز ، و إن لم يغب عنه جانب التقنين و التقعيد الذي أكسبه طابع المنهجية .

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع ، فثمة قصة أجملها في الآتي :

لقد توفرت لدي الرغبة في دراسة القرآن الكريم و محاولة الوقوف على سر إعجازه و بلاغته منذ تقدمت للسنة التمهيدية للماجستير ، و ما إن شرعت في البحث عن أحد الموضوعات إلا و قابلتني عقبة تكرار تناولها سابقا من قبل ، و كنت في ذلك الوقت تحت إشراف أ.د حسن عباس ، و ترددت في مسامعي حينها مقولة **أ.د حلمي القاعود** ، عن تكرار بعض المباحث في بلاغة القرآن الكريم و لكن تحت مسميات مختلفة و التعليق بقوله لأي من تلك المباحث التي سبق تناولها من باحثين آخرين أنه " قد قتل بحثا " ، ما دفعني بعد أن أضناني البحث إلى التوجس خيفة أن يكون البحث الذي أبغي تناوله قد سبق تناوله سلفا ، و بعد نصيحة أحد زملائي توجهت إلى **أ.د أسامة البحيري** ، أثناء فترة الإجازة قبل سفره ، و هو اللقاء الأول ، إذ لم أنل شرف التتلمذ على يديه أثناء دراستي بالكلية ، فعرضت عليه الأمر ، فأشار عَلَيَّ ناصحا بهذا الموضوع و هو تناول أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي، بوصفه مجالا خصبا لم يظفر بكثير من الدراسات المستقلة التي تحاول رصد صوره و بيان جمالياته فأردت التوفيق بين رغبتي في البحث(في بلاغة القرآن الكريم) و ما أشار عَلَيَّ به أ.د أسامة ، و ذلك بتناول ظاهرة التجريد في القرآن الكريم ولكن أ.د أسامة ، قد أخبرني أن شواهدها في القرآن الكريم قليلة نظير شواهدها في الشعر الجاهلي ، مما يجعل الدراسة في الشعر الجاهلي أكثر ثراءً و استجلاءً لصوره المختلفة ولقد حاول أ.د أسامة في النهاية إزاء رغبتي الشديدة و الملحة(في البحث في بلاغة القرآن الكريم)، إثنائي عن مثل هذا البحث ، مشددا عَلَيَّ العهد إن لم أتناوله بالبحث ، ألا أبوح به لأحد آخر ، إذ قد يتخذه

أ.د أسامة نفسه موضوعا للدراسة مستقبلا ، فدفعني ذلك إلى الموضوع دفعا ، و زادني تمسكا به .

و كنت أدرك منذ البداية مدى صعوبة هذا البحث ، فليس أصعب على باحث من أن يبدأ دراسته بلا سوابق بحثية حقيقية في موضوعه ، غير أني كنت أحس . و لا أزال . بمدى حاجة المكتبة العربية لا إلى هذا البحث فحسب ، بل إلى بحوث أخرى يستنفرها حول أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي ، مما دفعني . مستعينا بعون الله و تأييده . إلى الإقدام عليه ، و تناوله بالدراسة و التحليل .

و لقد تأكد لدي هذا الإحساس في ضوء ما يلي :

أولا : لم يظفر أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي . فيما أعلم . بدراسة مستقلة تحاول رصد صوره ، و بيان جمالياته ، مع إنه له وجود ملفت و فاعل في صياغة الشعر الجاهلي .

ثانيا : لقد تعرض هذا الأسلوب في تراثنا البلاغي لغير قليل من الخلاف حول مفهومه ، و وظيفته الفنية ، و الشروط التي يتحقق بها ، ثم موقعه في خريطة البحث البلاغي ، مما جعل الحاجة إلى سبر أغواره ، و تحديد ملامحه ماسة ، كي نستطيع استجلاء بعض ما يشعه في ذلك الشعر و ما يحتويه من صور البراعة التي تضمنتها قصائده ، الصادرة عن أرباب الفصاحة و البيان .

ثالثا : لقد أورد البلاغيون كثيرا من صور ذلك الأسلوب في الشعر الجاهلي ، غير أن إيرادهم لتلك الصور لم يكن في الأعم الأغلب من أجل تحليلها ، و الوقوف على جمالياتها بل من أجل التمثيل بها لذلك الأسلوب ، لذلك وجه الباحث اهتمامه

لدراسة بناء ذلك الأسلوب في البلاغة العربية ، لسد جزء من النقص الواضح في الدراسات الخاصة بذلك الفن البلاغي المهم .

فأخذت في كتابة خطة البحث و بعد انتهائي منها ، كان أن استعد أ.د أسامة للسفر ، وكان هذا الأمر (اختيار الموضوع ، ثم كتابة الخطة) قد أخذ مني فترة من الوقت طويلة مما حدا بي أن أعود إلى أستاذي أ. د حسن عباس ، لأنال منه شرف الإشراف على البحث ، فكان أن اكتمل نصاب أ.د حسن عباس من طلاب الدراسات العليا ، فبارك - بناءً على رغبتي، حرصا على مستقبلي ، وخوفا علي من التأخر في البدء بالبحث - أن أستميح أ.د سعيدة محمد رمضان ، أن تقبلني تلميذا في مدرستها ، باحثا تحت إشرافها و رحبت أ.د سعيدة - جزاها الله عني خير الجزاء - بالأمر ، فكانت لها يدٌ لا تكفر على هذا البحث مستمعا إلى نصائحها ، مستعينا بتوجيهاتها ، ولست أزعم أني فعلت ذلك ولكني حاولت واستعنت بالله فخرج جهد المقل ، فعسى أن يكون فيه إضافة جديدة تستنفر بحوثا أخرى حول ظاهرة التجريد في الشعر الجاهلي .

و قد تعددت الدراسات الأدبية التي تناولت من وجوه عدة بلاغة الشعر الجاهلي (١) إلا أنها - مع ذلك - مازالت قاصرة عن الإحاطة بجميع جوانبه الثرية بالنبوغ و الإبداع وهي في حاجة إلى مزيد من الدراسات الجادة التي تحيي تراثه ، و تسبر أغواره المكنونة بنظرة تصطبغ بروح العصر و مذاهبه الأدبية و النقدية.

---

(١) نذكر منها على سبيل المثال : د.محمد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي " مدخل لغوي أسلوبي " ، دار المعارف بمصر ، د.ت ، د حسني عبد الجليل يوسف : أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي التركيب و الموقف و الدلالة دراسة نحوية و بلاغية لأساليب الاستفهام في ضوء الموقف الشعري ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د.ت .

و يعد المنهج الأسلوبي أو ما يعرف بـ" علم الأسلوب " من أبرز المناهج بل و من أنجحها فيما أعلم ـ لدى الباحثين تطبيقا على الدراسات الأدبية ، إذ إن " المنهج الأسلوبي أكثر المناهج المعاصرة قدرة على تحليل الخطاب الأدبي بطريقة علمية موضوعية "(١).

و من أهم الدراسات التي أفدت منها عن هذا المنهج ، وفي هذه الدراسة ، و كلها مطبوعة ، خمس دراسات :

الأولى : للدكتور / أسامة البحيري ، بعنوان " **تحولات البنية في البلاغة العربية** ".

الثانية : للدكتور / حسن طبل ، بعنوان " **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية** "(٢).

الثالثة : للدكتور / صلاح فضل ، " **علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته** "(٣).

الرابعة : للدكتور / محمد عبد المطلب ، بعنوان " **البلاغة و الأسلوبية** "(٤).

والخامسة : للباحثة / مديحة جابر السايح ، بعنوان " **المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر التطور - النظرية - التطبيق** "(٥).

و كلها دراسات ثرية للنظرية الأسلوبية ، سواءً من الجانب النظري أم التطبيقي مما يجعلها ـ بحق ـ من الدراسات الرائدة في هذا المجال .

---

(١) د.فتح الله سليمان : الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية ، الدار الفنية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١م ، من مقدمة د. طه وادي ص ٤ .

(٢) د.حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .

(٣) د.صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م

(٤) د محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ م

(٥) مديحة جابر السايح : المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر التطور ـ النظرية ـ التطبيق ، و هي عبارة عن أطروحتها لنيل درجة الماجستير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، يونيه ٢٠٠٣ م .

أما بالنسبة لمصادر البحث و مراجعه ، فهي تنقسم قسمين .

القسم الأول : وقد تمثل في المصادر و المراجع القديمة التي تناولت أسلوب التجريد، و دواوين الشعر الجاهلي التي خلصت نصوصها لذلك الأسلوب و جمعته بين دفتيها ،و المجموعات الشعرية التي وردت في بطونها تلك النصوص متناثرة.

القسم الثاني : فقد تمثل في المراجع الحديثة التي ساعدت الباحث ، و هي كثيرة و متنوعة و هي تضم كتب النحو و اللغة ، و كتب الأدب و النقد و البلاغة إلى جانب المراجع المترجمة ، و الرسائل الجامعية ، و الدوريات ، و كل هذه المصادر و المراجع مثبتة في هوامش البحث و نهايته .

و قد قامت الدراسة بجمع نماذج من أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي ، وفقا للتقسيم التراثي لأسلوب التجريد في كتب البلاغة العربية ، و استكشاف جمالياتها و دلالاتها التعبيرية " عن طريق تحليل البنية اللغوية تحليلا عميقا يكشف عن المفارقة و الاختلاف بين دلالة البنية السطحية الظاهرة ، و دلالات البنية العميقة ، و الاستعانة بأساليب التحليل الأسلوبي و النصي التي تتوافق في أحيان كثيرة مع أدوات البلاغة العربية " (١).

و قد أدخل الباحث تعديلات على تقسيم القزويني و أتباعه لذلك الأسلوب ، طلبا لتقسيم أكثر دقة ، فجمع التجريد المحض و غير المحض في قسم واحد هو : الضمائر و التجريد بواسطة حروف مخصوصة ، و حذفها ، في قسم واحد هو : الأدوات ، و ثالث تلك الأقسام - دون تعديل - هو التجريد بطريق الكناية ؛ و ذلك لكي تجتمع الصور المتقاربة و المتشابهة في قسم واحد .

---

(١) د.أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية ، المقدمة ص ٢٠ .

وقد أضاف الباحث - كذلك - بعض الشواهد الشعرية كنماذج لأسلوب التجريد في الشعر الجاهلي لم يتم تناولها - فيما يعلم - من قبل في كتب البلاغة القديمة أو الحديثة من هذا الجانب ، مستعينا بأدوات التحليل البلاغي وآليات النقد الحديث التي تتصل بالموضوع .

لذا ستكون الدراسة في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المصطلح والأسلوب في التراث البلاغي.

الفصل الثاني : التجريد في ضوء علم الأسلوب .

الفصل الثالث : صور التجريد في الشعر الجاهلي .

فأما الأول : جعلته في نقطتين أساسيتين :

الأولى : تناولت فيها المعنى اللغوي للتجريد ، متتبعا الجذور التاريخية للوعي بذلك الأسلوب ، متقصيا نظرة علماء اللغة والنحو له ، مراعيا في ذلك الترتيب الزمني من الأقدم فالأحدث ، وما يتفق مع هذا المعنى من المعاني الأدبية أو الفنية التي أطلقت فيما بعد على العبارات والصور الواردة في الشعر والنثر عبر عصور الأدب المختلفة .

الثانية : وفيها تناولت المعنى الاصطلاحي للتجريد ، كاشفا عن طبيعة علاقة المعنى اللغوي للتجريد ، التي تأرجحت كثيرا ، بمعناه الاصطلاحي ، ثم عرضت لأبرز القضايا الخلافية التي أثيرت حول أسلوب التجريد في ظل هذا المصطلح وهي: **(أ) مجال التجريد .**

(ب) وظيفته .

(ج) موقعه في خريطة البحث البلاغي .

مبينا بالأدلة المقنعة، فيما يأمل الباحث، الرأي الذي يرتضيه الباحث في كل منها.

الفصل الثاني لما كان التجريد قائما على أسلوب العدول او الانحراف عن الأصل المثالي (الحقيقي أو المفترض). كما سيتبين ذلك لاحقا. و هو أسلوب يندرج سياقيا تحت المنهج الأسلوبي، نظرا لملاءمته لبنية اللغة الأدبية، رأى الباحث أن يخصص فصلا كاملا لدراسة ذلك الأسلوب (التجريد) في ضوء معطيات علم الأسلوب، كاشفا، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، عن وجوه التشابه و التلاقي بين التجريد كما تحددت ملامحه الأصيلة في تراثنا البلاغي .و التجريد في نظر علماء الأسلوب، و ذلك تحت عنوان " التجريد في ضوء علم الأسلوب " .

و قد بدأته بتعريف مفهوم الأسلوب أو الأسلوبية، و ذلك بتحديد موضوع الدراسة الأسلوبية، و منهجها، و الغاية منها، ثم تطرقت إلى أهم الفروق و المتشابهات بين علمي الأسلوب و البلاغة العربية، مستعينا ببعض الدراسات الأسلوبية و التي كانت من أهمها دراسة قامت بها الباحثة / مديحة جابر السايح بعنوان " المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر التطور. النظرية. التطبيق "(١) سالفة الذكر.

و امتدادا لتلك العلاقة التي تربط بين علمي الأسلوب و البلاغة العربية، قمت بقياس صور التجريد في تراثنا البلاغي إلى مدلول كل من المفاهيم و المصطلحات الأساسية للأسلوبية، و التي تتمثل في خمسة مفاهيم، بدأتها بالاختيار. فالانحراف. فالمتلقي، ثم السياق، فالنص.

ففي الاختيار تناولت مفهومه، و فكرته، و أصاله، و ما يمثله من أساس نظري صالح للطريقة التوليدية التحويلية، بخاصة لدى كثير من الأسلوبيين الذين نحوا هذا المنحى

---

(١) مديحة جابر السايح المنهج الأسلوبي، ص ٢٢٧ - ٢٥١.

في تصور الأسلوب ، والذين وجدوا في نظرية " النحو التحويلي أو التوليدي " لاسيما تشومسكي (مؤسس هذه النظرية) ما يدعم هذا التصور لديهم ، بين مستويين في الجملة هما : " البنية العميقة و البنية السطحية " ، مبرزا تصور البلاغيين القدماء في هذا الصدد الذين حاكوا تصورهم دون بعد عما بين أيدينا الآن ، مما يوجب علينا :

" أن نعي الدور الحقيقي لجهود أسلافنا و لن ينقص ذلك من جهودنا ، و لكن يبقى للأوائل فضل السبق و التقعيد وللأواخر فضل التطوير و التجديد دون غمط لحقوق الأوائل علينا ، فلولاهم لكنا نحن مكانهم نبدأ من حيث بدؤوا و نتعرض لما تعرضوا إليه من سهام قاضية ، و نعاني ما عانوه من مشقة التأسيس ، فليس المؤسس للبنيان كالمستكمل له "(١) . مستشهدًا ببعض الشواهد الشعرية التي تتمثل فيها تلك الخاصية الأسلوبية .

أما الانحراف فتناولت بعد مفهومه ، معاييره ، و أشكاله ، و مشاكله ، موضحا تصور البلاغيين القدماء والمحدثين له ، مستشهدا - كما هو الحال في الاختيار- ببعض الشواهد الشعرية التي تتمثل فيها تلك الخاصية الأسلوبية.

و أما المتلقي و السياق و النص ، فشأنهم في التناول شأن الاختيار و الانحراف مع مراعاة سمات كل خاصية أسلوبية عن شقيقاتها .

و **أما الفصل الثالث** : فقد توقفت فيه بالتحليل لبعض الشواهد من الشعر الجاهلي التي تمثلت فيها صورة التجريد في : (الضمائر ، الأدوات ، التجريد بالكناية) .

---

(١) مصطفى صبحي على الله عموه : شعر الشماخ بن ضرار الذبياني " دراسة اسلوبية " ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢ م ، المقدمة ، ص ٤ .

أولا : الضمائر : ويندرج تحت هذا المجال نوعان :

(أ) **التجريد المحض** : وهو " أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك ، وأنت تريد به نفسك "(١).

(ب) **التجريد غير المحض** : وهو " خطاب لنفسك لا لغيرك ، ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد ، لعلاقة أحدهما بالآخر ..... وإنما خاطبت نفسك بنفسك ، كأنك فصلتها عنك ، وهي منك "(٢).

ثانيا : الأدوات : ويتحقق التجريد فيه بإحدى صورتين :

إحداهما : التجريد بواسطة حروف مخصوصة : وهي: (الباء ، وهي على نوعين : الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، وباء المعية التجريدية الداخلة في المنتزع بعد دخول الأصلية في المنتزع منه .. في ، ومن) .

ويتمثل الغرض الرئيس في هذا القسم من التجريد تأكيد المبالغة ، لأن فيه إشارة إلى ادعاء كمال الموصوف حتى صار بمنزلة هي بحيث كانت فيه تلك الصفة منشأ لتفريع أمثالها عنها ، كما أوضح ذلك ابن يعقوب المغربي (٣).

والأخرى : التجريد بحذف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وساطة حرف ولا كناية) ، وهو " كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ، وهذا القسم لا يدل على التشبيه "(٤).

---

(١) ابن الأثير : المثل السائر ، ٢ / ١٦٠ ، ينظر : العلوي : الطراز ، ٣ / ٧٣ .
(٢) ابن الأثير : المثل السائر ، ٢ / ١٦٣ ، ينظر : العلوي : الطراز ، ٣ / ٧٤ ، و ينظر : السيوطي : شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان ، مكتبة الباني الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩م ، ص ١٢١ .
(٣) ابن يعقوب المغربي : مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) ، ٤ / ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
(٤) عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، ٤ / ٤٠ .

ثالثا : التجريد بطريق الكناية : وهو ما يكون مدلولا فيه على المعنى المجرد بطريق الكناية التي هي أن يعبر بالملزوم ويراد اللازم مع صحة إرادة الأصل "(١).

رابعا : الأساليب : وفيه نطرقت إلى بعض الأساليب الإنشائية ، التي حفلت بأسلوب التجريد في الشعر الجاهلي ، ويقف البحث في دراسة الأساليب الإنشائية عند الإنشاء الطلبي ، لأن " تأكيد البلاغيين على هذا الجانب التوليدي في الأساليب الإنشائية بني عليه استبعادهم لأساليب الإنشاء غير الطلبي ، لقلة إمكاناتها التوليدية، نتيجة لهيمنة الدلالة الأصلية على الصياغة في مستوى البنية السطحية، والبنية العميقة "(٢) فتطرقت من خلالها إلى أسلوبي : الاستفهام ، والأمر ، إلى جانب أسلوب الشرط مستأنسا ما أمكن ، بالشواهد الشعرية الجاهلية التي تؤيد تلك الوجهة وتزكيها

خامسا : التقديم والتأخير : وفيه تناولت بعض صور التجريد التي ظهر فيها أسلوب التقديم والتأخير ، محاولا كشف أسراره ، وبيان جمالياته .

وقد وقفت بالتحليل ، إزاء ما سبق ، مسترشدا في كل شاهد بما ذكر في توجيهه من آراء في كتب اللغة أو النحو أو المعاجم فضلا عن كتب الأدب والبلاغة بطبيعة الحال وقد بذل الباحث أقصى ما يستطيع من جهد في تمحيص تلك الآراء في كل شاهد قبل أن يرجح أحدها ، أو يميل إلى رأي آخر سواها .

---

(١) ابن يعقوب المغربي : مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) ، ٤ / ٣٥٤ .
(٢) د. أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ٩٥ .

و أنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه .

و بعد ، فلست أزعم أنني قلت الكلمة الأخيرة في هذا البحث ، ولكنني اجتهدت ما وسعني الاجتهاد ، فإن كنت قد أصبت فذلك بتوفيق من الله ، و إن كانت الأخرى فمن نفسي.....

و قد كان لأستاذتي الكبيرة الأستاذة الدكتورة / سعيدة محمد رمضان ، الفضل الأكبر في خروج هذا البحث إلى النور ، و تسهيل مهمة التسجيل التي كانت متعثرة آنذاك و كذا فقد تعلمت منها كيف أفهم التراث ؟ و كيف أتعامل معه في أثناء دراستي على يديها في السنة التمهيدية للماجستير بآداب طنطا ؟

كما كان لرعايتها البالغة ، و ملاحظاتها الدقيقة ، و نصائحها الغالية ، أكبر معين على مواصلة البحث ، فلها مني أشد إعزاز ، و أعظم تقدير ، لقاء ما أحاطتني به من عناية أنارت البصيرة ، و شحذت العزيمة و أذكت الهمة ، فجزاها الله عني خير الجزاء ، و نفع بها طلاب العلم إنه سميع مجيب الدعاء .

كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور/أسامة البحيري ، الذي رشح لي هذا البحث و نصحني به ، فكانت نعم النصيحة و كان نعم العون ، فالله أسأل أن يجزيه عني خيرا و أن يديم عليه الصحة و العافية .

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذي الكبير الأستاذ الدكتور / حسن عباس ، الذي كان له فضل عظيم أيضا في توجيهي الوجهة العلمية الصحيحة ، كما كان لكتبه و أبحاثه أكبر أثر في الباحث ، فقد وجهت نظري إلى أشياء كثيرة كانت غائبة عنه ، فجزاه الله عني خيرا و هدى به طلاب العلم .

كما أتوجه بالشكر إلى إخوتي و أساتذتي أسرة اللغة العربية بآداب طنطا ، الذين لم يألوا جهدا في تقديم العون و المساعدة ·

و لا يفوتني أن أشكر والدي اللذين غمراني بدعائهما و اللذين تمنيا أن يرى عملي هذا النور في حياتهما ···

كما أتوجه بالشكر إلى من شجعتني و باركت خطاي دارسا ، و باحثا ، إلى أختي ·

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم إليَّ معروفا أو أسدى إليَّ نصحا أو ذلل لي صعبا و هم كثيرون ، و أشكركم جميعا على حضوركم و مشاركتي في هذا اليوم الطيب ·

و الله الموفق و الهادي إلى سواء السبيل ·

" قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ }{ طه : ٢٥ ـ ٢٨ }·

صدق الله العظيم

* * *